المصـــدر : الجزيرة

التـــاريخ : 14-06-2007

الصفحـات : 42

العـــدد : 12677

المسلسل : 320

جامعة القدس المفتوحة تقيم عرسين فلسطينيين في قلب الرياض

عادل علي جودة - كاتب فلسطيني - الرياض

لله درك يا شعبنا؛ عزيمتك لا يصيبها الكلل! وصبرك لا يعرف الملل؛ صمودك لا ينكسر؛ وشموخ التحدي لديك لا يقبل التراجع! عينك تشهد الأحداث فتدمع؛ وتبصر النصر فتواصل؛ تغض الطرف أحياناً؛ وتتخطى الظلم أحياناً أخرى؛ كيف لا والدرب طويل والعبء ثقيل؛ والأعداء كثر؛ منهم من يرى رأي العين؛ ومنهم من يختفي في الظلمات أو يختبئ وراء جدر!

ذاك هو الشعب الفلسطيني؛ حكاية مريرة تمتد عشرات السنين مع النكبات والنكسات والصدمات والكدمات؛ جرح يدمي قلبه هنا، وهمّ يثقل وَجْدَهُ هناك! سهام حاقدة تخترق صدره هنا! وخناجر سامة تطعنه في الظهر هناك! مأساة تجد معاناته هنا! وفُرقة تشوه تاريخه العريق هناك، انشقاق خبيث كما السوس ينخر جسده هنا، وخيانة مقيتة تهزّ أركانه هناك! ولكنه رغم كل ذلك، رغم اللوعات والوخزات والجراحات والآهات، يسجل هذا الشعب، بهمة مؤسساته وهامات أبنائه، أنه دوماً أقوى من كل التحديات؛ فيكتم آهاته بالإيمان والأمل، ويداوي آلامه بالصبر والعمل!

وها هي (جامعة القدس المفتوحة) إحدى المؤسسات التعليمية الفلسطينية المكافحة المنتشرة على تراب الوطن فلسطين، كما على تراب عدد من الأوطان العربية، تتجاوز كل الصعاب لتمضي مع شقيقاتها في بناء الإنسان وتزويده بسلاح العلم والمعرفة.

أقول ها هي (جامعة القدس المفتوحة)، بمباركة سعودية تبهج النفس وتسر الخاطر، وبالتعاضد والتعاون والتلاحم مع (سفارة دولة فلسطين) المعززة المكرمة في قلب مدينة الرياض الغالية، وبرعاية مباشرة من السفير الفلسطيني الأستاذ جمال الشوبكي، وبحضور عدد طيب من أعضاء السلك الدبلوماسي والثقافي العربي والإسلامي داخل الديار السعودية، وجمع كبير من الجالية الفلسطينية، ها هي جامعتنا الكبيرة تطيب بالهاشاوي والزغاريد جراحاتنا، وترفع بالدبكة الفلسطينية صرخة العز نحو التحرير والحرية! عبر أمسية خالدة، أقيمت في مساء يوم الأربعاء ٦ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ٢٣ مايو- أيار ٢٠٠٧م، واشتملت على عرسين فلسطينيين ماجدين يحيكان الكثير والكثير!

أما العرس الأول (عرس الوطن)؛ فيجسد صمود شعبنا على تراب أرضنا المحتلة في مواجهة ما يلاقيه من بطش العدو وإجرامه؛ وهو عبارة عن مشاهد تمثيلية تصور مثالاً حياً للحياة الفلسطينية على مدى ما يزيد عن ستة عقود من الزمن؛ تروي قصة عروس في ليلة زفافها، تنتظر عريسها الذي يسير وسط الزفة بين الأهل والأحباب والأصحاب؛ تداعبه رقصات العيون، وتقبله ابتسامات الشفاه، وتحتضنه زغاريد القلوب، وعلى أنغام (درج يا غزال) تسير الزفة، وخطوة بخطوة تزيد الفرحة، ولكنها لم تكتمل! فما هي إلا بضعة أمتار ليأخذ العريس عروسه بيديه، وبين ضلوعه، وداخل جفنيه، ويطير بها إلى عش الزوجية حيث الآمال الهانئة السعيدة التي طالما رسماها سوياً، وإذا بأفراد عصابات بني صهيون؛ أعداء الأرض والشجر والإنسان، تقتحم المكان، لتقتل الأحلام وتبدد الآمال؛ فتعتقل العريس، وتقدم للعروس هدية الزفاف؛ رصاصة حاقدة تستقر في صدرها النقي العفيف، فتهوي على الأرض جثة هامدة، ويتغير لون فستان عرسها من الأبيض إلى الأحمر، ومن ثم تتحول الزغاريد إلى صراخ، والأفراح إلى أتراح؛ والأم المسكينة تنادي أمجاد الماضي عبر تاريخنا التليد؛ في محاولة لاستنهاض الأمة وشحذ همتها!

قصة موفقة؛ فكرة وأغراضاً وحواراً وأداءً، وتمنيت لو تسعفني مساحة النشر فأسرد كل تفاصيلها، ولكن بإيجاز أقول:

لقد كان رائعاً تسليط الضوء على الإنجاز الكبير الذي تحقق، بجوار الكعبة المشرفة، على يد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، والمتمثل في (اتفاق مكة) لوضع نهاية للاقتتال الفلسطيني الفلسطيني، وحقيقة القول: إن توقيته جاء مناسباً جداً في ظل تجدد الخلافات ووقوع المزيد من الأحداث المؤسفة بين الأشقاء!

وكان رائعاً أيضاً ذلك الحيز الكبير المنادي بالوحدة الوطنية الفلسطينية الذي كان بمثابة استفتاء جماهيري واسع وضع بصمته بالكلمة والإحساس قائلاً: (لا للأحزاب المتناحرة ولا للأعلام المتناطحة)، و(نعم، ثم نعم، ثم نعم، لفلسطين أرضاً واحدة وشعباً واحداً وعَلَماً واحداً)! وكان رائعاً كذلك الصوت المستنكر لتجزئة القضية الفلسطينية، والمنادي بإعادتها إلى حضن الأمة العربية! وكنت أتمنى أن تكون المناداة بإعادتها ليس فقط إلى حضن الأمة العربية، بل إلى حضن الأمة الإسلامية كذلك!

وكان أكثر من رائع حوار التاريخ وفلسطين؛ وأؤكد هنا أن الأمة الإسلامية، كما الأمة العربية ودود ولود، وهي حبلى بالأبطال والأسود من أمثال عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، وأبوعبيدة عامر بن الجراح، وصلاح الدين، والمعتصم، وغيرهم كثير، ومثل هذه الأسماء الخالدة كلها يمكن أن تتكرر؛ ورسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم يقول: (الخير في وفي أمتي إلى يوم الدين)! وأجمل ما في الحوار خاتمته التي سجلت (وهذا حق) أننا في هذا العصر نشهد حمية المعتصم ونخوته وشهامته في رجل الفضل والخير والمجد؛ خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وبإذن الله سيتحقق على يديه الكثير!

وأما العرس الآخر فيزف كوكبة جميلة زاهية من فلذات الأكباد (الخريجين والخريجات)، وأزف إليهم جميعاً (ومن بينهم نور عيني ومهجة فؤادي ولدي الحبيب -علاء) أجمل التهاني وأزكى التبريكات، لتخرجهم من جامعة فلسطينية امتزج فيها نور العلم بنسائم الإيمان في هذه الأرض المباركة، ورحم الله ملك العزة والسمو والرفعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، الذي فتح قلبه وذراعيه لإقامة فرعي الجامعة في كل من الرياض وجدة.

عادل علي جودة

وإذ أبارك لخريجينا وخريجاتنا حصولهم على شهادة البكالوريوس في برامج الجامعة المختلفة، إنما أهمس إليهم بالقول: ها أنتم تغادرون حرم هذه الجامعة تجاه مرحلة جديدة تحتاج إلى المزيد من البذل والعطاء، فما أنتم فاعلون أمام بابين مفتوحين على مصراعيهما؛ باب الحصول والكسل، ومن ثم الفشل فتكونوا عبئاً ثقيلاً يرفضه المجتمع، لا سمح الله! وباب المواجهة بعزم وإصرار، ومواصلة تحصيل العلم بحب وإقبال، ومن ثم العمل باقتدار نحو تحقيق الآمال، فتكونوا أعضاء فاعلين في مجتمع أنتم سواعده لتحرير الوطن السليب وبناء الدولة الفلسطينية ذات السيادة الحقيقية على كامل الأرض الفلسطينية؛ بحدودها ومائها وسمائها، وبعاصمتها الأبدية القدس الشريف؛ وتذكروا دوماً (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) و(إن ينصركم الله فلا غالب لكم).

وهنا أسجل شكراً معظماً لك يا سعودية؛ أرضاً خصبة مباركة، وملكاً عزيزاً شامخاً، وحكومة متزنة رشيدة، وشعباً عربياً أصيلاً؛ وشكراً لك يا سفارتنا الفلسطينية مقراً ثابتاً، وسفيراً رائعاً.

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 14-06-2007 العـــدد : 12677
الصفحـات : 42 المسلسل : 320

وعاملين أوفياء! وشكراً لك يا جامعتنا العتيقة؛ شكراً لمجلس أمنائك وخصوصاً أولئك الذين جاؤوا من أرض الوطن لمشاركتنا فرحتنا، وشكراً لفرعيك في الديار السعودية؛ مديراً، وأعضاء هيئة تدريس، وإداريين وإداريات، وطلاب وطالبات!

وشكراً مهماً أجدني أخص به جهداً مباركاً ليس فقط في التخطيط والتنظيم للعرسين الرائعين، وإنما في المتابعة والإشراف على تنفيذ أمسية ناجحة بكل المقاييس، ذلك الجهد للأخ الأستاذ يوسف جنينة؛ المراقب الإداري والمالي العام لفرع الجامعة في السعودية، فله الشكر الجزيل ممزوجاً بوافر التقدير لتلك العلاقة الحميمة المتألقة التي رأيتها تجمع بينه وبين طلبة الجامعة!

وشكراً مهماً ثانياً أخص به صرخة النداء الفلسطينية، وأحيي طلاب الجامعة الذين تزينوا بأزياء الشعوب العربية وتحدثوا بألسنتهم ملبين النداء؛ وأشير باعتزاز إلى الشاب السعودي الذي شارك إخوانه طلاب الجامعة؛ فكان رائعاً وهو يزين المسرح الفلسطيني بشماغه وعقاله وثوبه ودقلته ذات الخيوط الذهبية، كما كان رائعاً وهو يلبي النداء بإحساس متألق صوّر من خلاله معانقة الشعب السعودي ومؤازرته ومناصرته لشقيقه الشعب الفلسطيني!

وشكراً مهماً ثالثاً أخص به كلمة الخريجين الشاملة الصادقة، الواعية، والمتقنة بلغتها العربية السليمة، وبإلقائها الفصيح على لسان صاحب الوجه المشرق والحس المرهف الخريج علي أبواللوز!

وشكراً مهماً رابعاً أخص به أفراد فرقتي الدبكة الفلسطينية على العروض الرائعة التي قدموها بأزيائهم الفلسطينية الزاهية؛ الحطة والعقال والدماية والسروال! فاقولها بملء الفم: لقد أبدعتم بحق أيها الرجال! وإن كنت بهمس الحب أتساءل: أين أدواتنا الموسيقية الشعبية المصاحبة لدبكاتنا الفلسطينية؛ أين الشبابة؛ وأين اليرغول؟!؟

ولله الشكر والحمد من قبل ومن بعد.

---

aaajoudeh@hotmail.com